[١]

فى التاريخ القديم

إنها قديمة.. «ومتجذرة» فى التراث الغربى -تراث الحضارة اليهودية/ المسيحية- التى لم تبرأ من الوثنية.. ثم فى تراث حقبتها العلمانية -التى أحيت روح الوثنية اليونانية-.. إنها قديمة -فى هذه الحضارة- تلك الافتراءات على رسول الإسلام ﷺ وعلى رموز الإسلام ومقدساته.. وليست بنت القرن الحادى والعشرين، أو أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م -فى أمريكا- والحملة الصليبية المعاصرة، التى أعقبتها -كما يحسب كثير من الذين لم يخبروا صفحات التراث الغربى- الطافحة «**بثقافة الكراهية السوداء**» ضد الإسلام ورموزه ومقدساته..

وإذا كانت شهادات الغربيين على هذه الحقيقة هى «**شهادة شاهد من أهلها**». فإننا نقدم -فى هذا المقام- عدداً من الشهادات الغربية على قدم وتجذر هذا العداء والافتراء الغربى فى التراث الدينى والمدنى للنصارى الغربيين.

● لقد شهد القائد والكاتب الإنجليزى الجنرال: «جلوب باشا» -اللفتنانت جنرال جون باجوت [١٨٩٧ - ١٩٨٦م]- صاحب كتاب [الفتوحات العربية].. -والذى عمل قائداً للجيش الأردنى حتى العدوان الثلاثى على مصر ١٩٥٦م-.. شهد بأن مشكلة الغرب مع الشرق إنما بدأت بظهور الإسلام!.. فقال: «**إن تاريخ مشكلة الشرق الأوسط إنما يعود إلى القرن السابع للميلاد**»!!.

● «وشهد المستشرق الفرنسى -اليهودى الديانة- «مكسيم رودنسون» [١٩١٥- ٢٠٠٤م] بتصاعد هذه الافتراءات الغربية على رسول الإسلام ﷺ و«ازدهار فنونها -نثرًا وشعرًا» إبان الحملات الصليبية الغربية على الشرق الإسلامى [٤٨٩ - ٦٩٠هـ/ ١٠٩٦ - ١٢٩١م]- فكتب فى شهادته هذه يقول:

«لقد حدث أن الكتاب اللاتين، الذين أخذوا بين ١١٠٠م و١١٤٠م على عاتقهم إشباع هذه الحاجة -[كراهية الإسلام]- لدى الإنسان العامى، أخذوا يوجهون اهتمامهم نحو حياة محمد، دون أى اعتبار للدقة، فأطلقوا العنان «لجهل الخيال المنتصر».. فكان محمد «فى عرفهم»: ساحرًا، هدم الكنيسة فى إفريقيا والشرق عن طريق السحر والخديعة، وضمن نجاحه بأن أباح الاتصالات الجنسية.. وكان محمد -«فى عرف تلك الملاحم»- هو صنمهم الرئيسى، وكان معظم الشعراء الجوالة يعتبرونه كبير آلهة السراسنة -[البدو]- وكانت تماثيله (حسب أقوالهم) تصنع من مواد غنية، وذات أحجام هائلة..

لقد اعتُبر الإسلام فى هذه العصور الوسطى نوعًا من الانشقاق الدينى، أو هرطقة ضمن المسيحية. وهكذا رآه «دانتى» [١٢٩٥ - ١٣٢١م].

وكان من المحتم أن يؤدى هذا كله إلى تشجيع التمركز حول الذات، وهى صفة طبيعية فى الأوروبيين كانت موجودة دائمًا، ولكنها اتخذت الآن صبغة تتسم بالازدراء الواضح للآخرين..».

تلك كانت الصورة التى صنعها الخيال الغربى للإسلام ورسوله ﷺ

إبان الحملات الصليبية -فى العصور الأوروبية الوسطى- كما شهد بها وعليها المستشرق الفرنسى «مكسيم رودنسون»[1].

● **كذلك شهد المستشرق الإيطالى الشهير** «فرانشسكو جابرييلى» [١٩٠٤ - ١٩٩٧م] على هذه الحقيقة.. فقال: «**لقد كانت العصور الوسطى الغربية تنظر إلى ظهور الإسلام وانتشاره باعتباره تمزقًا شيطانيًا فى صدر الكنيسة المسيحية التى لم يكد يمر على انتصارها على الوثنية ثلاثة قرون، وانشقاقًا مشئومًا قام به شعب بربرى..**»[2].

● أما الكاتب السويسرى «هوبرت هيركومر» فلقد عرض لافتراءات الغربيين المسيحيين على الإسلام ورسوله ﷺ فأورد فى دراسته عن [الصورة الغربية والدراسات العربية الإسلامية] كيف «**أن الأوروبيين ادعوا أن رسول الإسلام كان كاردينالاً كاثوليكيًا، تجاهلته الكنيسة فى انتخابات البابا، فقام بتأسيس طائفة ملحدة فى الشرق انتقامًا من الكنيسة. واعتبرت أوروبا المسيحية -فى القرون الوسطى- محمدًا المرتد الأكبر عن المسيحية، الذى يتحمل وزر انقسام نصف البشرية عن الديانة المسيحية**»[3].

● أما توما الإكوينى [١٢٢٥ - ١٢٧٤] -أكبر فلاسفة اللاهوت الكنسى- وقديس الكاثوليكية- فلقد تحدث عن رسول الإسلام ﷺ فقال:

---

(١) مكسيم رودنسون [الصورة الغربية والدراسات العربية الإسلامية] -بحث منشور بكتاب [تراث الإسلام]- القسم الأول ص٢٧، ٢٨، ٣٢، ٣٥، ٧٥، ٨٣، ٨٦، ترجمة محمد زهير السمهورى مراجعة: دكتور شاكر مصطفى- طبعة الكويت ١٩٧٨م

(٢) المصدر السابق. ص ١٠٤، ١٠٥.

(٣) هوبر هيركومر [صورة الإسلام فى التراث الغربى]: ترجمة: ثابت عيد- تقديم: دكتور محمد عمارة - طبعة القاهرة ١٩٩٩م.

«إنه هو الذى أغوى الشعوب من خلال وعوده الشهوانية، وقام بتحريف جميع الأدلة الواردة فى التوراة والأناجيل من خلال الأساطير والخرافات التى كان يتلوها على أصحابه. ولم يؤمن برسالة محمد إلا المتوحشون من البشر، الذين كانوا يعيشون فى البادية»!![1].

● أما رأس البروتستانتية «مارتن لوثر» [١٤٨٣ - ١٥٤٦م] فلقد وصف القرآن الكريم بأنه:

«كتاب بغيض وفظيع وملعون، ومليء بالأكاذيب والخرافات والفظائع».. معتبراً أن «إزعاج محمد والإضرار بالمسلمين يجب أن تكون المقاصد من وراء ترجمة القرآن وتعرّف المسيحيين عليه.. وأن على القساوسة أن يخطبوا أمام الشعب عن فظائع محمد، حتى يزداد المسيحيون عداوة له، وأيضًا ليقوى إيمانهم بالمسيحية، ولتتضاعف جسارتهم وبسالتهم فى الحرب ضد الأتراك المسلمين، وليضحوا بأموالهم وأنفسهم فى هذه الحروب».. كما وصف رسول الإسلام بأنه: «خادم العاهرات وصائد المومسات»!![2].

● فلما جاء «دانتى» [١٢٩٥ - ١٣٢١م] -صاحب «الكوميديا الإلهية»- رأيناه يضع رسول الإسلام ﷺ وعلى بن أبى طالب -رضى الله عنه- «فى الحفرة التاسعة فى ثامن حلقة من حلقات جهنم. وقد قطعت أجسامهم وشوهت أجسادهم فى دار السعير؛ لأنهم كانوا فى الحياة الدنيا -[بكذبه وافترائه]- أهل شجار وشقاق»[3].

---

(١) هوبر هيركومر [صورة الإسلام فى التراث الغربى] ترجمة ثابت عيد -تقديم دكتور محمد عمارة- طبعة القاهرة ١٩٩٩. ص٣٢، ٣٣.

(٢) المرجع السابق. ص٢١.

(٣) المرجع السابق. ص٢٤.

● ولقد عمقت العنصرية الغربية، والاستعلاء المتمركز حول الذات هذه الافتراءات على الجنس العربى عمومًا.. وبعبارة المستشرقة الألمانية «سيجريد هونكة» [١٩١٣ - ١٩٩٩م]:

«فلقد استقر فى أذهان السواد الأعظم من الأوروبيين الازدراء الأحمق الظالم للعرب، الذى يصمهم -جهلاً وعدوانًا- بأنهم رعاة الماعز والأغنام، الأجلاف، لابسو الخرق المهلهلة.. وعبدة الشيطان، ومحضرو أرواح الموتى، والسحرة، وأصحاب التعاويذ وأعمال السحر الأسود، والذين حذقوا هذا الفن، واستحوذ عليهم الشيطان، تحرسهم فيالق من زبانيته من الشياطين.. وقد تربع على عرشهم الذهبى «ماهومد» -«مخميد»- وقد ركعت تحت أقدامه قرابين بشرية يذبحها أتباعه قربانًا وزلفى له»!..

«.. ولقد صورت الكنيسة الأوروبية رسول الإسلام ساحرًا كبيرًا.. وصورت «قرطبة» -فى الأندلس- وطن عُبَّاد الشيطان، المتوسلين بالموتى، الذين قدموا لمحمد الصنم الذهبى الذى كانت تحرسه عصبة من الشياطين، تضحية بشرية»!!

«فبلاد الإسلام هى عالم الخرافات والأساطير، عبدة الشيطان، والسحرة المتضرعين إلى الشيطان.. بلاد الأضاحى البشرية من أجل صنم ذهبى تسهر على سلامته عصبة من الشياطين، اسمه محمد»!![1].

أى والله!.. هكذا صورت أوروبا -فى عصورها الوسطى- عندما كانت شعوبها ترسف فى قيود الجهل والتخلف والخرافات والظلمات..

(١) سيجريد هونكة [العقيدة والمعرفة] ص٩٩، ١٦١، ١٦٢. ترجمة: عمر لطفى العالم. طبعة دمشق ١٩٨٧م.

وعندما كانت تسيل دماؤها فى الحروب الدينية.. ومجازر محاكم التفتيش.. وتحرق العلماء والفلاسفة.. هكذا صورت دين التوحيد والتنزيه وحضارته المزدهرة.. والرسول الذى جاء رحمة للعالمين!..

● أما المؤرخ «جى. توينبى» [١٨٨٩ - ١٩٧٥م] فلقد وصف العرب والمسلمين -فى كتابه [دراسة فى التاريخ العلمى]- بأنهم:

«غير متحضرين.. وخلق غريب مستبعد من العالم الهلينى. أو المتطفلين على الحضارة الهلينية الإغريقية.. أولئك المحمدون البدائيون.. وأقصى القول فيهم: إنهم تقليد بربرى جاهل زائف لديانة السريان الغريبة عنهم.. وهم -لبدائيتهم وقصورهم- لا يسعون إلى اعتناق النصرانية»!!..

● كذلك أوردت المستشرقة الألمانية سيجريد هونكه ما كتبه «وليام» -من سالسبرى- فى وصف العرب والمسلمين بأنهم:

«يعبدون الدرك الأسفل من الشياطين!!.. فهم «الكفرة الفجرة»، الذين لا يدينون بالمسيح أو الله؛ لأنهم لم يعبدوه بعد.. فهم ليسوا سوى ديدان حقيرة.. وسفلة أوغاد.. أعداء الله.. وأعداء المسيح.. مستبيحو قبر المسيح»!![1].

● وإذا كانت الكنيسة الكاثوليكية -بقيادة البابا الذهبى- أوربان الثانى» [١٠٨٨ - ١٠٩٩م] هى التى أشعلت وقادت الحملات الصليبية على الإسلام وأمته وعالمه -فى العصور الأوروبية الوسطى- وتحالفت

(١) سيجريد هونكة [الله ليس كذلك] ص٨، ١١، ١٤، ١٩، ٢٣. ترجمة: دكتور غريب محمد غريب- طبعة القاهرة ١٩٩٥م.

فى هذه الحرب مع أمراء الإقطاع الأوروبيين، ومع البورجوازية فى المدن التجارية الإيطالية.. فإنها قد قادت -كذلك- هذه الحملات من الافتراءات والأكاذيب والسباب، التى صنعت هذه الصورة البائسة والغريبة للإسلام ورسوله وأمته وحضارته.. وذلك لتكون هذه الصورة المزيفة والبائسة حافزًا للغوغاء كى ينخرطوا فى هذه الحرب الصليبية، التى مولتها بورجوازية المدن التجارية الإيطالية لنهب الشرق، واحتلاله، وكسر شوكة الإسلام.

ولقد خطب البابا «أوربان الثانى» فى فرسان الإقطاع الأوروبيين، يحثهم على «الحرب المقدسة» ضد المسلمين، فقال:

«أى خزى يجللنا وأى عار، لو أن هذا الجنس من الكفار، الذى لا يليق به إلا كل احتقار، والذى سقط فى هاوية التعرى عن كرامة الإنسان، جاعلاً من نفسه عبدًا للشيطان، قد قدر له الانتصار على شعب الله المختار»!![1].

● ولقد عرفت هذه الافتراءات -الغريبة العجيبة- طريقها إلى شعراء الملاحم الشعبية، لتعبئة العامة والدهماء والغوغاء فى حملة العداء للإسلام ورسوله وأمته وعالمه.. فنظم شاعر الكنيسة «كونراد» ١٣٠٠م «ملحمة رولاند»، التى وصف فيها المسلمين بأنهم:

«الشعب الذى لا يُروى تعطشه لسفك الدماء، والذى لعنه رب السماء.. فهم كفرة وكلاب.. وخنازير فجرة.. وهم عبدة الأصنام التى لا حول لها

(١) [الله ليس كذلك] ص٢٣.

ولا قوة.. الذين لا يستحقون إلا أن يُقتلوا وتطرح رممهم فى الخلاء، فهم إلى جهنم بلا مراء»!.

وفى هذه «الملحمة الشعبية» يخاطب الشاعر القسيس «كونراد» الشعب المسلم فيقول: إن مخمت -[أى محمد]-.. قد أرسلنى إليك لأطيح رأسك عن كتفيك، وأطرح للجوارح جثتك، وأمتشق برمحى هامتك.

«ولتعلم أن القيصر قد أمر كل من يأبى أن تعمده الكنيسة ليس له إلا الموت شنقًا، أو ضربًا، أو حرقًا».

«إن أولئك جميعًا دون استثناء حزب الشيطان اللؤماء، خسروا الدنيا والآخرة، وحل عليهم غضب الله، فبطش بهم روحًا وجسداً، وكتب عليهم الخلود فى جهنم أبدًا»(١).

***

هكذا تمت «صناعة الصورة» الزائفة والبائسة والعجيبة للإسلام ورسوله وأمته وعالمه -فى العصور الأوروبية الوسطى-.. والتى شارك فيها البابوات.. والقديسون.. والشعراء.. والكُتَّاب.. صورة الافتراء على الإسلام ورموزه ومقدساته.. والازدراء بأمته وعالمه.. فاستقر - فى الوعى الغربى.. واللاوعى- «مخزون ثقافة الكراهية السوداء» ذلك الذى تحول -فى التراث الغربى- إلى «ألغام». تفجرها «المصالح الإمبريالية» و«التعصب الدينى» و«الاستعلاء العنصرى» بين الحين والحين، منذ ذلك التاريخ وحتى هذه اللحظات!!..

(١) [الله ليس كذلك]. ص٤٤.

وإذا كان البعض قد توهم أن هذا تاريخ قديم قد مضى وانقضى.. وأن النهضة الأوروبية وفلسفة التنوير.. والعلمانية قد طوت تلك الصفحات، وأبرأت الوجدان الغربى من هذه العاهات، فإننا نسوق حقيقة واحدة -كمثال- على بقاء هذا المخزون لثقافة الكراهية السوداء فاعلاً فى التكوين الثقافى الغربى حتى هذه اللحظات.

ففى عقد الثمانينيات من القرن العشرين، قام فريق بحثى متخصص -تحت إشراف أستاذ غير مسلم- هو البروفيسور «فلاتورى»- بمراجعة الكتب الدراسية فى ألمانيا وحدها.. فكونت الأخطاء والأكاذيب والافتراءات المتعلقة بالإسلام ورموزه وأمته -فى هذه الكتب- المادة التى امتلأت بها صفحات سبعة وثلاثين مجلداً!.. ولا تزال تُدرَّس هذه الأكاذيب عن الإسلام والمسلمين للطلاب الألمان.. ولا تزال تكوِّن وعيهم وصورة الإسلام لديهم حتى هذه اللحظات!!.

***

هذا عن التاريخ -القديم.. والوسيط.. والحديث- «الماضى- الحاضر» للافتراء على الإسلام ورموزه ومقدساته.. وفى المقدمة من ذلك رسول الإسلام ﷺ.

***

[٢]

فى الحقبة الصليبية المعاصرة

أما حقبة «**الحملة الصليبية المعاصرة**» -التى أعلنها الرئيس الأمريكى «بوش- الصغير» عقب أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م.. فإنها لم تكن إلا بعثًا «**لثقافة الكراهية السوداء**» وهذه -ثقافة الإساءة إلى الإسلام ورموزه ومقدساته- لم تكن بداية لهذه الإساءات.. أو استثناء فى تاريخ الغرب مع الشرق الإسلامى.. أو ثمرة لتشدد إسلامى سقط فيه بعض المسلمين -كما يظن ويتوهم الذين لا دراية لهم بالتاريخ.. تاريخ ثقافة الكراهية السوداء، التى تبلورت واستكنت فى التراث الغربى تجاه الإسلام ورسوله.. والتى ضربنا عليها الأمثال..

وفى هذه الحملة الصليبية المعاصرة.. قرأنا وسمعنا وشاهدنا العديد من الافتراءات الغربية ضد الإسلام ورسوله.. وضد أمة الإسلام وحضارة الإسلام..

● **فجون أشكروفت** -وزير العدل الأمريكى- يسب إله المسلمين ورب العالمين.. فيقول: «**إن المسيحية دين أرسل الرب فيه ابنه ليموت من أجل الناس. أما الإسلام فهو دين يطلب الله فيه من الشخص إرسال ابنه ليموت من أجل هذا الإله**»![١].

---

(١) صحيفة «الشرق الأوسط» -لندن فى ٢١/ ٢/ ٢٠٠٢م.

ولقد نسى هذا الرجل أن «قيمة» الفداء والشهادة والاستشهاد قد عرفتها حتى المسيحية -رغم أن مملكة المسيح ليست فى هذا العالم- فقدم الآلاف من المسيحيين الشرقيين -إبان القهر الرومانى- أرواحهم وأرواح أبنائهم من أجل الإله!!..

● **والجنرال الأمريكى ويليام ج. بويكن**- نائب وزير الدفاع «دونالد رامسفيلد».. يخطب فى إحدى الكنائس -وهو بزيه العسكرى- فيسب إله المسلمين.. ورسولهم.. ويقول:

«إن إلهنا أكبر من إلههم.. إن إلهنا حقيقى، وإله المسلمين صنم.. وإنهم يكرهون الولايات المتحدة الأمريكية؛ لأنها أمة مسيحية يهودية، وحربنا معهم هى حرب على الشيطان.. وإن الإسلام دين شيطانى وشرير.. ومحمد هو الشيطان نفسه»!![1].

● **والقس الأمريكى «بات روبرتسون»**- رئيس التحالف المسيحى الأمريكى-.. يعمم السباب ليشمل الإسلام والمسلمين.. فيقول:

«إن الإسلام هو دين الإرهاب.. دعا إلى العنف.. وإن أمريكا بحاجة إلى إنذار ضد خطر المسلمين الذين يكرهون أمريكا ويحاولون تدمير إسرائيل»[2].

---

(١) صحيفة «الحياة» -لندن- فى ١٧/ ١٠/ ٢٠٠٣م- وصحيفة «الأهرام» القاهرة- فى ١٨/ ١٠/ ٢٠٠٣م.

(٢) صحيفة «الحياة» -لندن فى ٢٦/ ٢/ ٢٠٠٢م- وصحيفة «الشرق الأوسط» لندن فى ٣/ ٣/ ٢٠٠٢.

• **واللورد الإنجليزى «جورج كيرى»**- كبير أساقفة كانتربرى السابق - يعمم السباب على الثقافة الإسلامية- متجاهلاً أنها هى التى تأسست عليها النهضة الأوروبية- فيقول:

«إن الثقافة الإسلامية استبدادية، وتفتقر إلى المرونة.. وهى لم تساهم فى التاريخ.. وإن الدول الإسلامية لم تقدم شيئًا مهمًا للثقافة عبر القرون»!(١).

• **والقس الأمريكى «فرانكلين جراهام»**- الذى ترأس حفل القسم الدستورى لجورج بوش -الصغير- وأحد زعماء اليمين الدينى الأمريكى.. يصف الإسلام بأنه: **«دين شيطانى، وشرير»!..**

• **والقس الأمريكى «جيرى فاين»**- وهو من زعماء اليمين الدينى - يسب نبى الإسلام ﷺ فيقول:

«إن محمداً هو الشيطان نفسه»..!..

• **أما المستشرق الصهيونى «برنارد لويس»**- فإنه يفترى على القرآن الكريم.. وعلى منظومة القيم والأخلاق الإسلامية.. فيقول:

«إن النظام الأخلاقى الذى يستند إليه المسلمون مختلف عما هو فى الحضارة اليهودية المسيحية -[الغربية]-.. وإن آيات القرآن تصدّق على ممارسة العنف ضد غير المسلمين»(٢).

---

(١) صحيفة «الشرق الأوسط» -لندن فى ٢٧/ ٣/ ٢٠٠٤م.

(٢) مجلة «نيوزويك»- الأمريكية- فى ١٤/ ١/ ٢٠٠٢م. وصحيفة الأهرام- القاهرة فى ٢، ٣/ ٣/ ٢٠٠٢م.

.. وهو يتناسى ويتغافل عن أن القرآن أوجب «البر.. والقسط» فى التعامل مع المخالفين الذين لا يعتدون على الإسلام والمسلمين ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨] وأن هذا القرآن قد نهى عن العدوان.. ولم يشرع القتال إلا صدًا للعدوان: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].

● أما وزير الداخلية الألمانى «أوتوشيلى».. فلقد سب وأهان عقيدة الإسلام والمسلمين فقال:

«إن عقيدة الإسلام هى هرطقة وضلال»[١].

● أما الروائى الفرنسى «ميشيل هويلبيك».. فلقد اغترف من «مخزون ثقافة الكراهية السوداء» المستكن فى التراث الغربى.. مستخدمًا ذات العبارات التى عرفتها العصور الأوروبية الوسطى.. فوصف الإسلام بأنه:

«دين ظهر فى الصحراء، وسط الأفاعى والجمال والحيوانات المفترسة من كل نوع»!.. ووصف المسلمين بأنهم:

«حقراء الصحراء!..

---

(١) صحيفة «الأهرام» القاهرة فى ٢/٣/٢٠٠٢م.

وقال عن القرآن الكريم.. وعن الإسلام:

«إن قراءة القرآن مثيرة للتقزز!.. وإن الإسلام دين عدوانى، لا متسامح، يجعل الناس أشقياء تعساء»[1].

●●●

وفى إطار وسياق هذه «الحملة الصليبية المعاصرة» شهدنا أيضًا:

١- **الرسوم الدانيماركية**- فى سبتمبر ٢٠٠٥م- التى أساءت الأدب مع رسول الإسلام ﷺ فصورته فى صورة الإرهابى، الذى يعتمّ بعمامة هى عبارة عن قنبلة على وشك الانفجار!..

وهى الرسوم التى أعيد نشرها فى العديد من الصحف الغربية فى -يناير ٢٠٠٨م-.. ثم دعا وزير الداخلية الألمانى -فى ٢٧ فبراير ٢٠٠٨م- إلى تكرار نشرها مرة ثالثة فى صحف بلاد الاتحاد الأوروبى!.. ونال صاحبها -من ألمانيا- جائزة «حرية التعبير» سنة ٢٠١٠م!.

٢- **وإساءة بابا الفاتيكان** «بنديكتوس السادس عشر» إلى الإسلام ورسوله -فى محاضرته بجامعة «ريجنسبورج» الألمانية -بمدينة «رابتسبون» فى ١٢ سبتمبر ٢٠٠٦م-.. وهى المحاضرة التى افترى فيها على الإسلام، فقال إنه دين لا عقلانى!.. كما افترى فيها على رسول الإسلام ﷺ فزعم أنه لم يأت بأى خير!.. وأنه قد أمر بنشر

---

(١) صحيفة الشرق الأوسط لندن- فى ٢٠٠١/٩/١٠م. وصحيفة «الغربى»، القاهرة ٢٠٠١/١١/٩.

دينه بالسيف والعنف.. كما وصف القرآن بأنه «تعليمات أوامر اللئام»[1].

٣- وفى سبتمبر ٢٠٠٧م اندلعت مظاهرات التخويف من الإسلام -ضد أسلمة أوروبا!- فى كثير من المدن الأوروبية.. وشاركت فى هذه المظاهرات الأحزاب النازية الجديدة -المحظورة قانونًا- بعد أن غضت الطرف عن مظاهراتها هذه حكومات بلادها «الديمقراطية».

٤- وفى ٢٠٠٧م منحت ملكة إنجلترا «الكاتب» سلمان رشدى - الذى اشتهر بازدراء رسول الإسلام.. وبيت النبوة- منحته الملكة «وسام الفارس»!..

٥- وفى ١٣ أكتوبر ٢٠٠٧م تلقى الفاتيكان رسالة من «مؤسسة آل البيت للفكر الإسلامى» -بالأردن- وقع عليها ١٣٨ عالمًا ومفكرًا إسلاميًا- تدعو الفاتيكان إلى الحوار، وصولاً إلى «كلمة سواء».. فجاء رد الفاتيكان على هذه الدعوة مهينًا لعقائد الإسلام والمسلمين، إذ قال الناطق باسمه:

«إن الحوار مع المسلمين صعب، لأنهم يؤمنون أن القرآن من عند الله»!!..

٦- وفى يناير ٢٠٠٨م منح رئيس الجمهورية الفرنسية «نيكولاى ساركوزى» -وهو يهودى الأصل- جائزة «سيمون دى بوفوار»

---

(١) انظر كتابنا: الفاتيكان والإسلام: أهى حماقة أم عداء له تاريخ؟ طبعة مكتبة وهبة - القاهرة ٢٠١١م.

[١٩٠٨- ١٩٨٦] لـ«تسليمة نسرين» -البنجلاديشية التى احترفت الطعن فى عقائد الإسلام والمسلمين!..

٧- وفى مارس ٢٠٠٨م عرض الفيلم الهولندى -الذى يسىء إلى القرآن الكريم ويفترى عليه وعنوانه: القرآن الفاشى»!..

٨ - وفى ذات الشهر -مارس ٢٠٠٨م -وفى مهرجان عيد الفصح، بميدان كنيسة القديس بطرس، فى الفاتيكان.. وعلى مشهد من الجماهير، وعدسات التصوير التى تنقل المشهد إلى العالم، وجه البابا بنديكتوس السادس عشر لطمة إلى العالم الإسلامى، عندما عمَّد -بنفسه- الصحفى «مجدى علام» الذى تربى فى بيوت الكاثوليك ومدارسهم -فى مصر- ولم يعرف عنه -من قبل- الانتماء إلى الإسلام!.. ساعتئذ قطع التلفاز الإيطالى إرساله ليبث «لطمة» البابا للمسلمين!..

٩- وبعد الفيلم الهولندى «الفتنة: القرآن الفاشى»، عرض - بهولندا- فيلم آخر، يسىء إلى رسول الإسلام -عنوانه: «الرسول هتلر»!..

١٠- ودعت إحدى الكنائس الأمريكية إلى جعل يوم ١١ سبتمبر سنة ٢٠١٠م يومًا عالميًا لإحراق القرآن الكريم!.

١١- وحتى الكاردينال «المثقف- المستنير» «دكتور هانس كينج»- صاحب كتاب [المشترك بين الثقافات]- أبى إلا أن يسهم بسهمه فى الافتراء على الإسلام ورسوله ﷺ فقال:

«لا شك أن مسألة العنف هى مشكلة رئيسية فى الإسلام.. وأن النبى محمداً لم يكن رجل دولة فحسب، بل كان أيضًا قائداً عسكريًا «جنرالاً»!!. خاض حروبًا عسكرية.. وأن هناك عصراً مبكراً فى الإسلام قد تم فيه واقعيًا محو المسيحية من الوجود فى بلادها الأصلية»!![1].

نعم.. قال الكاردينال «المثقف- المستنير» هذا الكلام.. متجاهلاً حقائق التاريخ، التى شهد عليها -وبها- كبار أساقفة النصرانية الشرقية.. وأعلام علماء الآستشراق الغربى -الذين شهدوا بأن سماحة الإسلام -وفتوحاته- هما اللذان أنقذا النصرانية الشرقية من القهر الرومانى لعقائدها، والاغتصاب لكنائسها وأديرتها، والإبادة لمعتنقيها..

● لقد أعلن الأسقف القبطى «يوحنا النقيوسى» -وهو شاهد العيان على الفتح الإسلامى لمصر -هذه الحقيقة فقال:

«إن الله -الذى يصون الحق- لم يهمل العالم، وحكم على الظالمين، ولم يرحمهم، لتجرئهم عليه، وردهم إلى أيدى الإسماعيليين -[العرب المسلمين]-. ثم نهض المسلمون وحازوا كل مدينة مصر.. وبأمر الله الذى يأخذ أرواح حكامهم.. مرض هرقل ومات..

وكان عمرو بن العاص [٥٠ق هـ-٤٣هـ/ ٥٧٤-٦٦٤م] يقوى كل يوم فى عمله، ويأخذ الضرائب التى حددها، ولم يأخذ شيئًا من مال الكنائس،

---

(١) لقد ترجم الباحث المصرى ثابت عيد الذى يعيش فى زيوريخ بسويسرا هذا الكتاب.. وطبع سنة ٢٠١٠م - بمقدمة راجعت فيها افتراءات الكاردينال.

ولم يرتكب شيئًا ما سلبًا أو نهبًا، وحافظ عليها -[الكنائس]- طوال الأيام..

ودخل الأنبا «بنيامين» [٣٩هـ/ ٦٥٩م] بطرك المصريين مدينة الإسكندرية، بعد هربه من الروم العام ١٣ -[أى العام الثالث عشر من تاريخ هروبه- بعد أن أنقذه الفتح الإسلامى]- وسار إلى كنائسه، وزارها كلها.. وخطب فقال: لقد وجدت فى الإسكندرية زمن النجاة والطمأنينة اللتين كنت أنشدهما، بعد الاضطهادات والمظالم التى قام بتمثيلها الظلمة المارقون.

.. وكان كل الناس يقولون: هذا النفى، وانتصار الإسلام، كان بسبب ظلم هرقل الملك، وبسبب اضطهاد الأرثوذكسيين.. وهلك الروم لهذا السبب، وساد المسلمون مصر..»[١].

هكذا شهد الأسقف-القبطى الأرثوذكيسى -يوحنا النقيوسى على أن الفتح الإسلامى هو الذى أنقذ النصرانية الشرقية.. وحرر بطركها الوطنى.. وكنائسها وأديرتها.. وردها إلى أصحابها.. وحافظ عليها طوال الأيام..

وبعد ستة قرون من الفتح الإسلامى، وقيام الدولة الإسلامية الجامعة -فى رعيتها- لألوان الطيف الدينى.. وخبرة التعايش بين النصرانية- بمذاهبها المختلفة -وبين الإسلام.. كرر ذات الحقيقة بطريرك السريان «ميخائيل الأكبر» [١١٢٦-١١٩٩م] بطريرك أنطاكية اليعقوبى - وصاحب [كتاب الحوليات] فى تاريخ الكنيسة والشرق- فقال:

---

(١) يوحنا النقيوسى [تاريخ مصر ليوحنا النقيوسى: رؤية قبطية للفتح الإسلامى] ص٢٠١، ٢٢٠. ترجمة ودراسة دكتور عمر صابر عبد الجليل. طبعة القاهرة ٢٠٠٠م.

«إن إله الانتقام، الذى تفرد بالقوة والجبروت، والذى يديل دولة البشر كما يشاء، فيؤتيها من يشاء.. لما رأى شرور الروم، الذين لجئوا إلى القوة فنهبوا كنائسنا، وسلبوا أديارنا فى كافة ممتلكاتهم، وأنزلوا بنا العقاب فى غير رحمة ولا شفقة، أرسل إلينا أبناء إسماعيل من بلاد الجنوب ليخلصنا على أيديهم من قبضة الروم.. ولما أسلمت المدن للعرب، خصص هؤلاء لكل طائفة الكنائس التى وجدت فى حوزتها، ولم يكن كسبًا هينًا أن نتخلص من قوة الروم وأذاهم وحنقهم وتحمسهم العنيف ضدنا، وأن نجد أنفسنا فى أمن وسلام»[1].

فالأسقف يوحنا النقيوسى -شاهد العيان على الفتح الإسلامى- يصف هذا الفتح بأنه «إنقاذ» للنصرانية الشرقية ولكنائسها وأديرتها وأهلها.. والبطريرك ميخائيل الأكبر يرى -بعد ستة قرون من هذا الفتح- أنه كان «الخلاص» للنصرانية والنصارى من القهر والنهب والإبادة الرومانية.

● كذلك شهد بهذه الحقيقة- سماحة الإسلام ودولته وحضارته مع الآخر الدينى -العلامة الإنجليزى «سير. توماس أرنولد» [١٨٦٤-١٩٣٠م]- صاحب كتاب [الدعوة إلى الإسلام]- فقال:

«إنه من الحق أن نقول: إن غير المسلمين قد نعموا، بوجه الإجمال، فى ظل الحكم الإسلامى، بدرجة من التسامح لا نجد لها معادلاً فى أوروبا قبل الأزمنة الحديثة»[2].

---

(١) أرنولد [الدعوة إلى الإسلام] ص٧٢، ٧٣ ترجمة دكتور حسن إبراهيم، دكتور عبد المجيد عابدين، إسماعيل النحراوى. طبعة القاهرة ١٩٧٠م.

(٢) المرجع السابق. ص٧٢٩، ٧٣٠.

لكن.. ورغم نصاعة هذه الحقيقة.. وبالرغم من هذه الشهادات النصرانية على سماحة الإسلام ورسوله.. وأمته.. ودولته.. وحضارته.. فلقد شاركت فى الإساءة إلى الإسلام.. وكتابه.. ورموزه.. ومقدساته.. مؤسسات.. ومنظمات.. وكنائس.. وقديسون.. وكُتَّاب.. وشعراء.. مثلوا كل ألوان الطيف الغربى -من المتدينين.. إلى العلمانيين.. ومن الليبراليين.. إلى الفاشيين.. ومن البابا.. إلى رسامى الكاريكاتير!..

●●●

[٣]

الإسهام الأرثوذكسى

ويبدو أن الأرثوذكسية المصرية قد أبت إلا أن تسقط -هى الأخرى- فى هذا المستنقع -مستنقع السباب لرسول الإسلام- فألقت «ببذاءاتها القبطية فى محاضرات ومسرحيات كنسية.. ثم كتابات على الشبكة العالمية للمعلومات -«الإنترنت»-..

وفى هذه البذاءات القبطية» قالوا عن رسول الإسلام -صاحب الخلق العظيم- الذى أوصى بالقبط خيرًا.. والذى أنقذ صحابته النصرانية الشرقية من الإبادة الرومانية.. وحرروا أوطان الشرق وعقائد شعوبه.. ثم تركوا الناس وما يدينون، حتى أن نسبة المسلمين فى الشرق الإسلامى، بعد قرن من الفتوحات الإسلامية، لم تتعد ٢٠٪ من سكان الدولة الإسلامية![١]..

لقد كتب الأقباط الأرثوذكس بلسان «الأب يوتا» -وهو اسم حركى لقمص قبطى كبير- على موقع «الهيئة القبطية الكندية» -بتاريخ ٦-٤-٢٠٠٨م -تحت عنوان [رأيت محمدًا نبى الإسلام فى رؤيا حقيقية]- فقال:

---

(١) فيليب فارج، يوسف كرباج [المسيحيون واليهود فى التاريخ الإسلامى العربى والتركى] ص٢٥. ترجمة بشير السباعى. طبعة دار سينا- القاهرة ١٩٩٤م.

«إنه رأى، فى اليقظة، نبى الإسلام وحوله المؤمنون به «عراة»، ومنظرهم قبيح جداً، يحملون فى أيديهم مصاحف تقطر دمًا، وهم يبكون وينوحون ويصرخون ويلعنون محمداً فى كل لحظة. وهم -أيضًا- يغوصون فى الوحل، وحولهم الديدان، وتحيط بهم النار من كل جانب»!..

ويضيف «الأب يوتا»:

«لقد أفهمنى الملاك أن الشيطان يفرح بكثرة الهالكين المسلمين، كما أن محمداً نبى الإسلام يزداد عذابًا كلما هلك أحد المسلمين،؛ لأنه مسئول أمام الله عن إضلاله، فكان يحاول أن يرسل رسالة تحذير لكل مسلم- حتى يخف عذابه- لكى يفكر بعقله، ويتجه لعبادة الله الحقيقى الحى -[المسيح]- بعيداً عن الإسلام، الذى هو فخ الشيطان»!!..

ثم.. وبعد هذه «الرؤيا» القبطية الأرثوذكسية.. يعبر [الأب يوتا] عن رأيه الشخصى فى رسول الإسلام -محمد بن عبد الله- ﷺ فيقول:

«إننى شخصيًا، أربأ بالشيطان أن يتمثل بمحمد؛ لأن الشيطان لم يفعل ما فعله»!..

●●●

هذه «عينة» -مجرد «عينة»- مما يكتبه رجال دين أقباط، لهم درجات عليا فى السلم الكهنوتى الكنسى.. وينشرونه على شبكة المعلومات!..

● كذلك كتب هذا القس -أو «القمص»؟!- الأرثوذكسى -«الأب يوتا»- «كلامًا» سماه «رواية»، وجعل عنوانها [تيس عزازيل فى مكة].. وجعل صورة غلافها «تيسًا» يعلو سطح الكعبة!.. وفيها:

١- اتهم نبى الإسلام الذى ولد فى مجتمع عربى يجعل من صراحة النسب قيمة عليا ومقدسة -حتى لقد تخصص فى الأنساب الخبراء والحكماء-.. اتهم «الأب يوتا» نبى الإسلام بأنه ابن زنا!!.. وأن أباه -من السفاح- هو «بحيرى الراهب»!!.. وتحدث هذا القس عن حرارة العشق والغرام والممارسات الجنسية بين «آمنة» -أم الرسول- وبين «بحيرى» حديث شاهد العيان على هذا الغرام والممارسات الجنسية!!..

.. لقد زعم الأب يوتا -ويا للعجب!- أن رسول الإسلام قد ولد بعد وفاة والده -عبد الله- بأربع سنوات!! ولم يسأل -يوتا- «عقله»: هل خفى ذلك على مجتمع الشرك فى مكة -الذى كان يقدس صراحة النسب -فوجه إلى الرسول كل الاتهامات -السحر-.. والإفك.. إلخ -دون أن يوجه إليه هذه التهمة، التى كانت كفيلة بالطعن فى مكانة ومصداقية نبى الإسلام؟!(١).

٢- كما وصف هذا القس نبى الإسلام -فى هذه «الرواية»- بأنه:

«السفاح.. الإرهابى.. رئيس العصابة.. وقاطع الطريق»!!..

---

(١) انظر ما كتبه «الأب يوتا» على موقع «الهيئة القبطية الكندية» بتاريخ ٢٠٠٨/١١/٧م تحت عنوان: «نقول للجماعة الإسلامية صاحبكم أكبر مزور فى التاريخ».

٣- ثم أتبع الأب يوتا هذه «الكتابات» بفيلم، وضعه على المواقع القبطية على شبكة المعلومات، سماه «فتنة محمد»!!.. صب فيه كل الأحقاد والإساءات على الإسلام ورسول الإسلام-ﷺ- وعلى أمة الإسلام وحضارة الإسلام؟..

●●●

ولو كانت لدى هذا «الأب يوتا» مسحة من عقل أو منطق -ولا نقول أخلاقًا!- لسأل نفسه: أى الثقافتين تلك التى تتهاون مع الزنا والزناة.

● الثقافة التى صورت الأنبياء والمرسلين زناة وأبناء زناة.. والتى نسبت إلى المسيح -عليه السلام- التسامح مع الزانية التى ضبطت متلبسة بالزنا؟!..

«وقدم إليه الكتبة والفريسيون امرأة أمسكت فى الزنا، ولما أقاموها فى الوسط قالوا له: يا معلم، هذه امرأة أمسكت وهى تزنى فى ذات الفعل. وموسى فى الناموس أوصانا أن مثل هذه ترجم، فماذا تقول أنت؟. **فقال لهم: من كان منكم بلا خطيئة فليرمها أولاً بحجر. وقال للمرأة: ولا أنا أدينك. اذهبى ولا تخطئى أيضاً** -يوحنا ٨: ٣-١١-.

● أم الثقافة القرآنية -ثقافة نبى الإسلام -التى جعلت جريمة الزنا من كبائر الفواحش.. ولم تقف -فقط- عند النهى عن اقترافها.. وإنما طلبت عدم الاقتراب مما يفضى إليها، وشددت على وجوب الابتعاد عما

يغرى بها.. ﴿ وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾ [الإسراء: ٣٢].. ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝٢ الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور: ٢، ٣].

أى الثقافتين -أيها «الأب يوتا»- هى التى تتسامح مع الزنا والزناة؟!.. حتى لتجعل الأنبياء والمرسلين زناة وأبناء زناة؟!..

أهى ثقافة محمد النبى العربى.. الذى ولد فى مجتمع يقدس صراحة النسب.. ويجعله قيمة عليا -حتى قبل ظهور الإسلام-؟!..

أم ثقافة «الأب يوتا» الذى «تربى» على ثقافة الزنا والخنا والفسق والفجور، التى سطرتها أسفار العهد القديم؟!..

ولو كانت لدى الأب يوتا مسحة من عقل لسأل نفسه:

- أى الأديان يحترف أهله الإرهاب؟

هل هو الإسلام.. الذى تتعرض بلاده للغزو - غزو الحضارة المسيحية- والذى تنتشر على أرضه القواعد العسكرية الغربية، وتمتلىء بحاره ومحيطاته بالأساطيل الغربية.. بينما لا تجد لأمته -فى الغرب- سفينة صيد.. ولا «عسكرى مرور»!..

***

هكذا تداعت كل الأطراف.. والمذاهب.. والتيارات للهجوم على الإسلام ورموزه ومقدساته.. من الكاثوليك إلى البروتستانت.. إلى الأرثوذكس.. إلى العلمانيين.. ومن الأصوليين إلى الليبراليين!..

● وهنا.. من حق المرء أن يسأل:

- هل هؤلاء «المسيحيون» -الكاثوليك.. والبروتستانت.. والأرثوذكس- الذين وجهوا كل هذا السباب، وكل هذه الإساءات إلى رسول الإسلام ﷺ هم مسيحيون حقًا؟ إن الإنجيل -الذى يحفظونه ويرتلونه- يقول لهم:

«سمعتم أنه قيل: تحب قريبك وتبغض عدوك. وأما أنا فأقول لكم: **أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلّوا من أجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم. لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السماوات**» متى ٥: ٤٤، ٤٥-..

فإذا كان الإنجيل -الذى يحفظون ويرتلون، وبه يتعبدون- يأمرهم أن يحبوا أعداءهم، ويباركوا لاعنيهم، ويحسنوا إلى مبغضيهم.. فكيف وجهوا كل هذا السباب وجميع هذه الإساءات إلى نبى الإسلام، الذى لم يكن لهم عدوًا.. ولا مبغضًا.. ولا لاعنًا؟!.

إن رسول الإسلام ﷺ هو الذى أعطى -١٠هـ/ ٦٣١م- للنصارى وللنصرانية عهدًا وميثاقًا «لجميع من ينتحل دعوة النصرانية فى شرق البلاد وغربها، قريبها وبعيدها، فصيحها وأعجمها.. أن لهم ما للمسلمين، وعليهم

ما على المسلمين، وعلى المسلمين ما عليهم.. وأن يُذب عنهم كل مكروه، حتى يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم وفيما عليهم.. وأن أحمى جانبهم وأذب عنهم، وعن كنائسهم وبيعهم وبيوت صلواتهم، ومواضع الرهبان، ومواطن السياح، حيث كانوا من جبل أو واد أو مغار أو عمران أو سهل أو رمل. وأن أحرس دينهم وملتهم أين كانوا، من بر أو بحر، شرقًا وغربًا، بما أحفظ به نفسى وخاصتى وأهل الإسلام من ملتى..

ولهم، إن احتاجوا فى مرمّة بيعهم وصوامعهم، أو شىء من مصالح أمورهم ودينهم، إلى رفد من المسلمين وتقوية لهم على مرمّتها، أن يُرْفدوا على ذلك ويعاونوا، ولا يكون ذلك دينا عليهم، بل تقوية لهم على مصلحة دينهم، ووفاء بعهد رسول الله، وهبة لهم، ومنة لله ورسوله عليهم..»[1].

فهل يستحق رسول الإسلام ﷺ -وهذا هو موقفه من النصارى والنصرانية- هل يستحق كل هذه الإساءات والافتراءات والبذاءات من رموز كل مذاهب النصرانية.. فى الوقت الذى يأمر فيه الإنجيل المؤمنين به بأن يحبوا أعداءهم.. ويباركوا لاعنيهم.. ويحسنوا إلى مبغضيهم؟!.. أم أن هؤلاء -الكاثوليك والبروتستانت والأرثوذكس- الذين وجهوا كل هذه الإساءات إلى رسول الإسلام ﷺ قد كفروا بالإنجيل أيضًا.. وليس فقط بالقرآن الكريم؟!..

●●●

(١) [مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة] ص١٢٣- ١٢٨- تحقيق: دكتور محمد حميد الله الحيدر آبادى- طبعة القاهرة ١٩٥٦م.

[٤]

مدرستان فى الفكر الدينى

والآن.. نأتى إلى بيت القصيد.. فنسأل السؤال الذى من أجل الإجابة عليه كتبنا هذه الصفحات..

- لماذا يسىء النصارى واليهود إلى رسول الإسلام.. وإلى رموز الإسلام ومقدساته؟..

- ولماذا -رغم ذلك- لم تصدر أدنى إساءة من أى مسلم، على امتداد التاريخ، إلى أى نبى أو رسول أو رمز من النصرانية أو اليهودية؟!..

***

إن الإجابة على هذا السؤال.. والتى هى بيت القصيد فى هذه الدراسة.. تقول:

إننا -فى الفكر الدينى- لدى أبناء الديانات السماوية الثلاث- اليهودية والمسيحية والإسلام- بإزاء مدرستين.. وفلسفتين.. ومنهجين.. ونظرتين.. وموقفين من الأنبياء والمرسلين والنبوات والرسالات، والرموز والمقدسات التى جاءت بها الديانات:

- **المدرسة الأولى:** هى المدرسة القرآنية.. والتى تقرر الاصطفاء الإلهى والعصمة والقداسة والاحترام والتوقير لجميع الأنبياء والمرسلين.. ولجميع

الكتب السماوية.. ولسائر الرموز المقدسة فى جميع الرسالات والشرائع السماوية.. فكل الأنبياء والمرسلين هم الصفوة من عباد الله الأخيار، الذين اصطفاهم واستخلصهم وصنعهم على عينه، وعصمهم من كل ما ينفر أو يشين.

● **أما المدرسة الثانية:** فهى مدرسة أسفار العهد القديم التى كونت.. -ولا تزال تكوِّن- الثقافة الدينية لليهود والنصارى.. وتكون الفلسفة والتكوين النفسى لليهود والنصارى، وتكون -كذلك- التراث وزاوية الرؤية والنظر العلمانية فى المجتمعات المسيحية، للدين ورموزه. وهذه المدرسة -مدرسة العهد القديم- لا تعترف بأية قداسة أو عصمة أو احترام أو توقير للأنبياء والمرسلين.. بل على العكس من ذلك -تقدم لهم صورة بائسة ومزرية.. تأنف منها فطرة الناس الأسوياء..

وهذه المدرسة -مدرسة العهد القديم- التى كونت وتكون الثقافة الدينية لليهود والنصارى.. والتى تقدم الأنبياء والمرسلين فى صورة الفسقة.. والفجرة.. والزناة وأبناء الزنا.. والمتلصصين على العورات والحرمات.. والكذبة.. والمتآمرين.. والقتلة.. والمتخلقين بأخلاق الدياثة، بحثًا عن سحت الدنيا وعرضها.. إلخ.. إلخ.. تلصق هذه الصفات القبيحة والأفعال المرذولة بالأنبياء والمرسلين الذين يؤمن بهم اليهود والنصارى!..

فإذا كانت هذه هى منابع الثقافة التى كونت هذه النظرة إلى الأنبياء والمرسلين الذين يؤمنون بهم.. فهل نستغرب -والحال كذلك- أن يعمموا هذه النظرة والفلسفة والثقافة فى نظرتهم إلى رسول الإسلام ﷺ؟!..

تلك هى «الحقيقة -المشكلة» و«المشكلة الحقيقية».. التى جعلت الإساءة إلى رسول الإسلام «مكونًا حاضراً ودائمًا» فى الثقافة النصرانية واليهودية.. ودائمًا أبدًا.. على حين عصم القرآن الكريم الثقافة الإسلامية من أية إساءة إلى أى رسول أو نبى من المرسلين والأنبياء الذين اصطفاهم الله -سبحانه وتعالى- وصنعهم على عينه.. وكرمهم وعصمهم من كل ما ينفر أو يشين -من آدم إلى محمد -عليهم الصلاة والسلام-..

وهى الحقيقة التى تقدم عليها هذه الدراسة الأدلة والبراهين، من المنابع الجوهرية المكونة للعقليتين.. وللفلسفتين.. وللنظرتين.. والثقافتين: الإسلامية.. واليهودية/ المسيحية -فى هذا الميدان..

●●●

[٥]

النظرة القرآنية للأنبياء والمرسلين

إن عصمة الأنبياء والمرسلين عن كل ما ينفر أو يشين، هى عقيدة من العقائد الأساسية فى الإيمان الإسلامى.. فهم الذين اصطفاهم الله -سبحانه وتعالى- من خيار خلقه.. وصنعهم على عينه.. ليكونوا أشراف أقوامهم نسبًا وخلقًا وخُلُقًا.. وجعل منهم «المثال.. والقدوة.. والأسوة» والسيرة العطرة، على امتداد تاريخ النبوات والرسالات.. وهم عنوان كلمة الله.. والمبلغون لها إلى أممهم وأقوامهم.. وهم «النموذج» المجسد لمنظومة القيم والأخلاق الدينية فى واقع الحياة.. إنهم حلقة الوصل بين الأرض والسماء.. بين الناس وبين الله.. والمرآة التى تتجلى فيها -على نحو نسبى ورفيع- صفات الكمال والجلال والجمال التى تفردت بها ذات الله- سبحانه وتعالى- على نحو مطلق ولا نهائى..

بل إن صفات الأنبياء، وعصمتهم عن كل ما ينفر أو يشين هى -فى العقيدة الإسلامية- دليل على «الحكمة الإلهية».. وبعض من «الإعجاز» الدال على صدقهم فى النبوة والرسالة والتبليغ عن السماء..

وبعبارة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده [١٢٦٦- ١٣٢٣هـ/ ١٨٤٩- ١٩٠٥م]:

«.. فإن من لوازم الإيمان الإسلامي: وجوب الاعتقاد بعلو فطرة الأنبياء والمرسلين، وصحة عقولهم، وصدقهم في أقوالهم، وأمانتهم في تبليغ ما عهد إليهم أن يبلغوه، وعصمتهم من كل ما يشوه المسيرة البشرية، وسلامة أبدانهم مما تنبو عنه الأبصار وتنفر منه الأذواق السليمة، وأنهم منزهون عما يضاد شيئًا من هذه الصفات المتقدمة.

وأن أرواحهم ممدودة من الجلال الإلهي بما لا يمكن معه لنفس إنسانية أن تسطو عليها سطوة روحانية.. إن لنفوسهم من نقاء الجوهر، بأصل الفطرة، ما تستعد به، من محض الفيض الإلهي، لأن تتصل بالأفق الأعلى، وتنتهي من الإنسانية إلى الذروة العليا، وتشهد من أمر الله شهود العيان ما لم يصل غيرها إلى تعقله أو تحسسه بعصا الدليل والبرهان، وتتلقى عن العليم الحكيم ما يعلو وضوحًا على ما يتلقاه أحدنا عن أساتذة التعاليم، ثم تصدر عن ذلك العلم إلى تعليم ما علمت، ودعوة الناس إلى ما حُملت على إبلاغه إليهم..

فهؤلاء الأنبياء والمرسلون من الأمم بمنزلة العقول من الأشخاص.. يعلِّمون الناس من أنباء الغيب ما أذن الله لعباده في العلم به، مما لو صعب على العقل اكتناهه لم يشق عليه الاعتراف بوجوده.. يميزهم الله بالفطرة السليمة، ويبلغ بأرواحهم من الكمال ما يطيقون للاستشراق بأنوار علمه، والأمانة على مكنون سره، مما لو انكشف لغيرهم انكشافه لهم لفاضت له نفسه أو ذهبت بعقله جلالته وعظمته، فيشرفون على الغيب بإذنه، ويعلمون

ما سيكون من شأن الناس فيه، ويكونون فى مراتبهم العلوية على نسبة من العالَمين، نهاية الشاهد وبداية الغائب، فهم فى الدنيا كأنهم ليسوا من أهلها، وهم وفد الآخرة فى لباس من ليس من سكانها..

ثم يتلقون من أمره أن يحدثوا عن جلاله بما خفى عن العقول من شئون حضرته الرفيعة بما يشاء أن يعتقده العباد فيه، وما قدّر أن يكون له مدخل فى سعادتهم الأخروية، وأن يبينوا للناس من أحوال الآخرة ما لا بد لهم من علمه، معبِّرين عنه بما تحتمله طاقة عقولهم، ولا يبعد عن متناول أفهامهم، وأن يبلغوا عنه شرائع عامة، تحدد لهم سيرهم فى تقويم نفوسهم، وكبح شهواتهم، وتعلمهم من الأعمال ما هو مناط سعادتهم وشقائهم فى ذلك الكون المغيب عن مشاعرهم بتفصيله، اللاحق علمه بأعماق ضمائرهم فى إجماله، ويدخل فى ذلك جميع الأحكام المتعلقة بكليات الأعمال، ظاهرة وباطنة..

ثم يؤيدهم بما لا تبلغه قوى البشر من الآيات، حتى تقوم لهم الحجة، ويتم الإقناع بصدق الرسالة، فيكونون بذلك رسلاً من لدنه إلى خلقه مبشرين ومنذرين»[1].

تلك هى النظرة القرآنية، والعقيدة الإسلامية فى الاصطفاء للأنبياء والمرسلين.. وفى تميزهم.. وامتيازهم.. وعصمتهم عن كل ما ينفر أو يشين..

---

(١) محمد عبده [الأعمال الكاملة] جـ٣. ص ٤٠٠، ٤٠١، ٤١٦، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٠٦، دراسة وتحقيق دكتور. محمد عمارة طبعة بيروت. سنة ١٩٧٢م. وطبعة دار الشروق سنة ٢٠٠٦م.

إنهم -فى الأمم والأقوام- بمثابة العقول.. وهم حلقة الوصل بين الحضرة الإلهية وبين عالم الشهادة.. يشرفون على الغيب بإذن الله، ويبلغون نبأه إلى العالمين.. فهم نهاية الشاهد، وبداية الغائب، يعيشون فى الدنيا كأنهم ليسوا من أهلها، وهم وفد الآخرة فى لباس من ليسوا من سكانها.

إنه الإجلال والاحترام والتعظيم والتوقير.. وتقرير العصمة للأنبياء والمرسلين..

***

وإذا كان الشىء يظهر حسنه الضد.. وبضدها تتمايز الأشياء، فإن المقارنة بين صورة أعلام الأنبياء ومشاهير المرسلين فى كل من القرآن الكريم.. وفى أسفار العهد القديم هى الشاهد على صدق هذا الذى نقول:

- العصمة والتعظيم والتكريم القرآنى للأنبياء والمرسلين..

- والإساءة والإهانة والازدراء لهؤلاء الأنبياء والمرسلين فى أسفار العهد القديم.. ومن ثم الإفضاء إلى نبعين ينضحان موقفين مختلفين كل الاختلاف من هؤلاء الأنبياء والمرسلين.

●●●